

# المغتربون العرب في أستراليا وآسيا حضور وجسر عبور

د. سلوى شكري كرم

باحثة في مركز دراسات الانتشار اللبناني (LERC)

في جامعة سيدة اللويزة (NDU) - لبنان

# المغتربون العرب في أستراليا وآسيا

## حضور وجسر عبور

سلوى شكري كرم<sup>1</sup>

الهجرة العربية ظاهرة عالمية، بدأت حديثاً فردية وأصبحت جماعية. وإذا غصنا في الأرقام والأعداد، وبخاصة هجرة الشباب والأدمغة وأصحاب الكفاءات والاختصاصات على أنواعها، لأصنبا بالذهول والحيرة، فنتساءل تلقائياً: لماذا؟ لماذا هذا النزف البشري من المواطنين العرب الى جميع أقطار العالم، حتى وصلوا الى المقلب الآخر والأبعد من الكرة الأرضية؟

ان أسباب الهجرة عديدة ومتنوعة، بخاصة في عصر العولمة، حيث تحول الكون بأسره الى قرية صغيرة، وذلك لسهولة المواصلات والاتصالات من جهة، ومن جهة أخرى لكثرة الحروب وللضائقة الاقتصادية في بعض البلدان، ولقلة الموارد الطبيعية فيها، وعدم إيجاد فرص عمل ترضي طموحات الشباب، والعوامل الطبيعية التي تتسبب أحياناً كثيرة بكارث إنسانية وحياتية. هذه العوامل مجتمعة لحق البلدان العربية قسم منها، بهجرة رؤوس الأموال وأصحاب الرساميل أيضاً، هروباً من بعض الأنظمة العربية.

اليوم يحتوي العالم العربي على 12 مليون عامل أجنبي، بينما هناك 17 مليون مواطن عربي من العاطلين عن العمل في منطقة يبلغ تعداد سكانها 388 مليون نسمة...، بحسب التقرير الأول لمنظمة العمل العربية، الذي أوضح أن "هذا الرقم هو الأعلى والأسوأ في العالم"، إذ يمثل 14 % من قوة العمل و25 % من قوة الشباب.

ولفت التقرير الى تدني المستويات التعليمية للعاطلين عن العمل وضعف الخبرة المهنية وغياب التدريب المهني الموجه لسوق العمل.

واليوم، في هذه الندوة، سأعرض تحديداً وضع الجاليات العربية المهاجرة في كل من أستراليا وآسيا.

---

<sup>1</sup> دكتوراه في علم الاجتماع؛ باحثة في مركز دراسات الانتشار اللبناني (LERC) جامعة سيدة اللويزة NDU لبنان. أعدت هذه الدراسة لإلقائها في المؤتمر الأول للمغتربين العرب الذي يعقد في مقر الجامعة العربية بالقاهرة، من 4 إلى 6 ديسمبر/كانون الأول 2010.

## أولاً - الهجرة الى استراليا<sup>2</sup>

ان الهجرة العربية الحديثة الى استراليا بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر، سنة 1854. ومن ثم توالى الهجرات الى استراليا ما بين الحربين العالميتين من لبنان وسوريا ومصر وفلسطين والعراق لاحقاً، من جميع الأديان والطوائف، واستمرت حتى يومنا هذا جماعاتٍ وأفراداً.

أما الهجرة العربية اللافتة الى استراليا، فكانت خلال فترة الستينات من القرن المنصرم عندما فتحت الجامعات الاسترالية أبوابها لاستقبال المتخصصين من الأساتذة والطلبة والمتفوقين من الدول العربية.

إضافة الى هذا، تعتبر استراليا من المناطق الجاذبة للعرب بسبب توافر العمل المنتظم، ودفع مخصصات البطالة لجميع أفراد الأسرة البالغين، وتأمين التقاعد المدني، ثم ان الدولة الاسترالية تشجع الهجرة العربية اليها سياسياً واقتصادياً، بحوافز مادية ومعنوية عالية، وتتبع سياسة العدل والمساواة والانفتاح مع جميع المهاجرين بالتساوي.

كونت هذه الجماعات العربية تجمعات سكانية عربية جديدة بجنسيات أجنبية متعددة. وأنشأ أفرادها، المهاجرون طوعاً أو قسراً، المشاريع الاقتصادية والاجتماعية وسواها، فنجحوا في المجتمع الاغترابي، وتبوأوا مراكز قيادية من سياسية واقتصادية واجتماعية في مواطنهم الجديدة في بعض الأحيان. وككل الهجرات التي حصلت عبر التاريخ، كان يلحق بهم أفراد عائلاتهم عند هبوب كل عاصفة في الوطن.

إن الجاليات العربية عالمية الانتشار، تقدر بما بين 30 و50 مليون نسمة، موزعين على جميع القارات، وفي استراليا وحدها يقدرون بنحو 3 ملايين نسمة.

ويمكن تقسيم الدول العربية الى ثلاث مجموعات من حيث تصدير المهاجرين:

أ - أقطار ذات هجرة عالية: وتشمل مصر، لبنان، الأردن، سوريا، العراق وفلسطين.

ب - أقطار ذات هجرة متوسطة: وتشمل أقطار المغرب العربي.

ج - أقطار ذات هجرة قليلة وتشمل أقطار شبه الجزيرة العربية. وبين الأقطار العالمية

ذات الهجرة العالية، يبدو أن الجالية اللبنانية في استراليا هي كبرى الجاليات العربية،

تليها المصرية ثم العراقية<sup>3</sup>...

<sup>2</sup> طنوس عون، بداية الهجرة اللبنانية الى استراليا وتطورها، ط. أولى 2001.

<sup>3</sup> جمعية المغترب اللبناني، اللبناني في الخارج. ظاهرة الهجرة والاعتراب.

## منحى الجاليات العربية

### 1- الجالية اللبنانية

منذ أيام الفينيقيين، اشتهر اللبنانيون بالهجرة وإنشاء المستوطنات. وهم منتشرون حول العالم كمهاجرين ومغتربين او متحدرين من أصول لبنانية ويبلغ عددهم في العالم حوالي 13.000.000 نسمة، وهو أضعاف عدد اللبنانيين المقيمين الذي يبلغ بحوالي 4 ملايين نسمة، 29 % منهم دون الـ 15 سنة. وتبلغ نسبة المتعلمين 87.4 %. فلبنان يشكل البلد الاول في العالم من حيث كثافة الهجرة مقارنة بعدد سكانه، بحسب المنظمة العالمية للهجرة.

ومن خلال موجات الهجرة اللبنانية الى استراليا، يمكننا تقسيمها الى أربع مراحل:

- المرحلة الأولى: منذ بدايتها وحتى سنة 1920، وفيها بدأ الاستيطان اللبناني في الأراضي الاسترالية.

- المرحلة الثانية: من سنة 1920 وحتى سنة 1950، وتسمى بهجرة ما بين الحربين العالميتين.

- المرحلة الثالثة: من سنة 1947 وحتى سنة 1974، وهم المهاجرون الجدد.

- المرحلة الرابعة: من سنة 1975 وحتى يومنا هذا، وسببها بشكل عام الأحداث اللبنانية. ويبدو أن هؤلاء المغتربين يشكلون الأغلبية من أبناء الجالية، ليصبح عدد أفرادها اليوم 500 ألف لبناني. أما نسبة الطوائف في الجالية فهي: مسيحيون 58.7 %، مسلمون 43.3 %. وبلغت نسبة العاملين من المهاجرين اللبنانيين في استراليا 88 %، بين 15 و64 سنة<sup>4</sup>.

تقدر بعض الإحصاءات عدد المهاجرين اللبنانيين بين عامي 1975 و2001، هو في حدود 938 ألف مهاجر، وتقدر الدراسة عدد المهاجرين من الجامعيين بحوالي 273.694 شخصاً، وكلفة تعليم الطالب الجامعي بحدود 100 ألف دولار، ما يعني ان النفقات التي يتكبدها المجتمع اللبناني على الجامعيين المهاجرين هي في حدود 30 مليار دولار. وتشير الدراسة الى ان الدول التي استضافت المهاجرين اللبنانيين بين سنتي 1975 و2001 هي أولاً أستراليا بـ 140.833 مهاجراً، مشكلين نسبة 51.1 % من هؤلاء. وتشكل الهجرة اللبنانية 80 % من الشبان<sup>5</sup>.

<sup>4</sup> طنوس عون، مرجع سابق.

<sup>5</sup> أنيس أبي فرح، مرجع سابق.

بالنسبة الى أهمية هذه الجالية، أنشئ في استراليا، أكثر من مئتين وخمسين جمعية لبنانية: كالجامعة اللبنانية الثقافية في العالم وفروعها، والجمعيات الثقافية والأندية وجمعيات القرى والطوائف. وهذه الجمعيات ساهمت كثيراً في إعمار قراها في الوطن الأصلي، ومساعدة الأهل مساعدة فعّالة، كما ساعدت المغتربين الجدد الى استراليا، لتسهيل أمورهم وإيجاد العمل لهم.

ورغم البعد الشاسع، فان مغتربي استراليا هم على تواصل دائم مع الأهل، كما أنهم يقومون بزيارات منتظمة الى لبنان، ومنهم من عادوا نهائياً بعد أن حصلوا على الجنسية الاسترالية، ونشير الى ان معدّل الحصول على الجنسية الاسترالية بين اللبنانيين هو الأعلى بالنسبة الى أبناء الجاليات الأخرى، إذ توصلت نسبة المجنّسين بين اللبنانيين المولودين في استراليا الى 96 %، وفقاً لبيانات 1996. ونشير هنا الى انه عندما تمّ إجلاء الرعايا الاستراليين من لبنان في حرب تموز 2006، كان بينهم 25000 أسترالي من أصل لبناني.

أما عن تحويلات المهاجرين اللبنانيين الى لبنان، فقد قال مؤخراً حاكم مصرف لبنان رياض سلامة: "ان اللبنانيين المنتشرين في مختلف بلدان العالم يحولون أموالاً الى لبنان يبلغ مجموعها السنوي 7 مليارات دولار. وهذا مبلغ يشكّل 25 % من الناتج المحلي الإجمالي". منها 14 % من استراليا. لكن لبنان ليس بلداً مستقبلاً للتحويلات فقط، بل هو مصدر لها أيضاً، إذ إن العمال غير اللبنانيين فيه - وبينهم العرب من سوريين ومصريين وفلسطينيين إضافة الى الأفارقة والآسيويين من سري لنكا والهند وبنغلادش والفلبين وسواها - قاموا بتحويل 4.2 مليار دولار في عام 2006، وهو ما يشكل 5.19% من الناتج المحلي القائم. و قد ورد مؤخراً في تقرير لأحد المصارف اللبنانية بأنّ تحويلات المغتربين اللبنانيين لسنة 2010 ستقترب من 10 مليارات دولار.

## 2- الجالية المصرية

الجالية المصرية ثانياً الجاليات العربية الكبرى في أستراليا. ويقدر عددها بـ 150 ألف نسمة، هم طبعاً من الأقباط والمسلمين.

عام 1871 تبين أن خمسة مصريين فقط كانوا يعيشون في ولاية فيكتوريا بعد سنتين من افتتاح طريق قناة السويس التي تصل مصر بأستراليا. ثم أخذ يرتفع بصورة كبيرة حتى وصل الى 8000 مهاجر عام 1954. ويكمن سبب هذه الزيادة المطردة في نزوح عدد متكاثر من الأقباط وسواهم من أصول ايطالية ويونانية ومالطية وأرمنية، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد قيام ثورة يوليو 1952 وشعور بعض أعضاء هذه الطوائف بنوع من عدم الاستقرار.

استمر نزوح المصريين من مصر الى استراليا وبخاصة المسيحيين الأقباط. وكانت نسبة كبيرة بينهم من ذوي المؤهلات العلمية العالية، واستطاع عدد لا بأس به منهم أن يفيد من مؤهلاته.

في عام 1971 وصل عدد سكان استراليا المولودين في مصر الى 28.230 شخصاً وأخذ هذا العدد في الازدياد حتى وصل الى 33.370 في عام 2001. في عام 2006 وصل العدد الى 33.490 مهاجراً، وهو رقم قريب من الرقم المسجل عام 2001، ما يشير الى ان أعداد المهاجرين من مصر الى استراليا لم تعد في ازدياد ملحوظ، كما كان الحال في فترات سابقة. متوسط أعمار هؤلاء المهاجرين في استراليا 55.4 سنة. ونسبة الأشخاص العاملين (بين 15 و64 سنة) من مهاجري مصر هي 71 %.

تنوّع اللغات التي يتحدث بها سكان فيكتوريا من مواليد مصر يعكس النمط المتعدّد الثقافة لمدينتي الاسكندرية والقاهرة العريقتين، وفيما يتحدث نصف السكان بالعربية في بيوتهم، فإن من بين السكان أعداد لا بأس بها يتحدثون باليونانية والايطالية والفرنسية والانكليزية.

ان الجالية المصرية بشقيها القبطي والإسلامي في أستراليا هي من الجاليات المتقدمة وتملك الكفاءات العلمية والإمكانات الثقافية والفكرية ومن حملة الشهادات الجامعية، والطائفة القبطية بينها هي الأقدم والأكثر هجرة. ويمكن القول إن الجالية المصرية مندمجة في المجتمع الاسترالي، طبعاً مع المحافظة الكاملة على خصوصيتها، من عادات وتقاليد وممارسة الشعائر الدينية، وأفرادها هم على اتصال دائم بالوطن الأصلي ويقومون بزيارة الأهل فيه.

يمكن القول إن تأسيس الجالية المصرية في استراليا بدأ في بداية ثمانينات القرن العشرين. كما تعد مصر من الدول الرائدة في تصدير العمال الى الخارج من كافة الاختصاصات والمهن. وتمثل تحويلات المهاجرين المصريين العاملين في الخارج أحد أهم مصادر العملات الأجنبية، حيث تتزايد أهمية التحويلات عاماً بعد عام، إذ بلغت التحويلات عام 2008 8.559.2 مليار دولار<sup>6</sup>.

### 3- الجالية العراقية

تحتل الجالية العراقية في استراليا المرتبة الثالثة بين الجاليات العربية من حيث العدد.

<sup>6</sup> دراسة منشورة على الانترنت، مرجع سابق.

يعود تاريخ الهجرة العراقية الى استراليا الى بدايات القرن العشرين. ازدادت هذه الهجرة بعد حرب الخليج، ولم تتوقف عندها، بل ارتفعت خلال فترة الحرب مع إيران في الثمانينات، وخلال فترة الحصار في التسعينات، حيث سجل مجموع أفرادها، مع العراقيين الموجودين سابقاً في أستراليا، 3.492 نسمة في سنة 1996. واليوم بعد الغزو الأميركي للعراق، فإن العراقيين النازحين ينتمون الى ثقافات واثنيات مختلفة. وبالرغم من أن المسلمين هم الأكثرية في العراق، فان نسبة المهاجرين من العراقيين المسلمين هي 29 %، ومن المسيحيين 68 %<sup>7</sup>.

تتلقى الجماعات العراقية المهاجرة الدعم من المنظمة العراقية - الاسترالية، ومن مؤسسات دينية وثقافية عدة. فلكل طائفة من الطوائف العراقية جمعياتها الدينية وكنائسها ومساجدها ومؤسساتها الثقافية والاجتماعية التي تعمل جميعها للمساعدة والأعمال الخيرية والتربوية. وبحسب التقديرات لآخر الإحصاءات تبين أن 25.000 عراقي مستقرّون في استراليا. إضافة الى هذا العدد، فإن عشرات الآلاف من العراقيين يتقدّمون بطلبات الحصول على حق اللجوء الإنساني في استراليا، ما سيؤدي الى ارتفاع عدد المهاجرين. ونقلًا عن وزارة الهجرة، فإن 24.000 مواطن عراقي قدّموا في العام الماضي طلبات للحصول على تأشيرات "لجوء إنساني" الى استراليا، مقارنة بـ 3.500 طلب في العامين 2001-2002. وإذا أضفنا المتحدّرين من أصل عراقي من أكراد وأرمن وسواهم من فئات اثنية أخرى، لبلغ عدد الجالية العراقية ما بين 120.000 الى 150.000 عراقي. وتقرب نسبة العراقيين في استراليا من ذوي الكفاءة العالية الى 20 %. تكوّنت هذه الجالية منذ العام 1994، تاريخ وصول اللاجئين العراقيين من مخيم رفحا السعودي. وبمرور الوقت تزايد العدد وبدأ التوافد الى استراليا.

#### 4- الجالية الأردنية<sup>8</sup>

أول أردني وصل الى استراليا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ليبلغ تعداد الجالية الأردنية الآن، بحسب التقديرات، ما يقارب 6.000 نسمة، يقيم أكثرهم في مدينة سيدني.

<sup>7</sup> "العراقيون في أستراليا"، جريدة الصباح الأسترالية.

<sup>8</sup> دراسة منشورة على الانترنت.

وبرغم قلة عدد الجالية الأردنية، فإن وجودها فاعل على الساحة الأسترالية من خلال الطبقة المتعلّمة والمتقّفة، ما جعلها تظهر بشكل مميّز في الأوساط العربية والأجنبية. وربما كانت أكثرية هؤلاء المغتربين من أصول فلسطينية.

فضلاً عن حسن السيرة والسلوك، تعاني الجالية الأردنية من غياب التواصل مع مؤسسات الوطن الرسمية وغير الرسمية التي يرى أبناء الجالية أنها تقصّر في تأدية الواجبات المنوطة بها، تجاه المغتربين الذين كانت لهم أدوار رائدة في دعم مسيرة بناء الوطن وتميمته.

كما أن الأموال المرسلة من الأردنيين في الخارج تعتبر في المرتبة الثانية من حصول الأردن على العملة الأجنبية الصعبة. وتقدر نسبة الأشخاص الأردنيين العاملين بين 15 و64 سنة في استراليا بـ 83 %.

### 5- الجالية السورية<sup>9</sup>

كان في عداد المهاجرين السوريين الأوائل بعض المسيحيين الذين تعرّضوا للاضطهاد على يد العثمانيين، والأشخاص الذين فرّوا من الضائقة الاقتصادية، إثر افتتاح قناة السويس، وعمال الأرياف الذين تضرّروا من الجفاف وفتك مرض الطاعون.

بعد الحرب العالمية الثانية، ارتفع عدد السوريين المولودين في فيكتوريا بشكل كبير، خاصة بين عامي 1954 و1971، وازداد هذا العدد في السبعينات والثمانينات خلال الصراعات العسكرية في المنطقة، ومع الانقلابات المتعاقبة. وهم يعملون في التجارة والصناعة كعمال أو حرفيين. حوالي 60 % منهم مسيحيون و 33 % مسلمون.

بحسب تقرير البنك الدولي فإنّ تحويلات المغتربين السوريين لعام 2010 تتجاوز 1,4 مليار دولار سنوياً.

ويقدّر اليوم عدد السوريين في استراليا بـ 100.000 نسمة. ونسبة العاملين منهم (بين 15 - 64 سنة) هي 86 %.

### 6- الجالية التونسية

ان الجالية التونسية في استراليا قليلة العدد، قياساً بالجاليات العربية الأخرى، إذ يبلغ عدد مهاجريها 644 نسمة. افرادها هم في الغالب من الكوادر العلمية ورجال الأعمال.

ان الأرقام التي تُصدرها السلطات التونسية حول المهاجرين تعتمد على المسجلين في القنصليات التونسية...، ويعزى عدم التسجيل في القنصليات الى تهاون البعض وعدم اكتراث

<sup>9</sup> م. عبد اللطيف زرنه جي، الجمعية الكونية السورية.



البعض الآخر وبُعد المسافة التي تفصل القنصليات عن أماكن وجود العديد من أفراد الجالية وعدم وجود الوقت الكافي.

لجواز السفر التونسي ميزة خاصة على بقية الجوازات العربية، إذ تسمح 67 دولة للتونسيين بدخول أراضيها من دون تأشيرة. وتتمتع الجالية التونسية في أستراليا بسمعة ممتازة. وقد بلغ حجم تحويلاتهم واستثماراتهم، ما بين 1987 و 2004، 321 مليون دينار تونسي.

### 7- الجالية المغربية

يبلغ عدد أفراد الجالية المغربية في استراليا، بحسب الإحصاء الأخير لسفارة المملكة المغربية في استراليا، بين 3500 و 4000 مهاجر مغربي. ففي الستينات وأواخر السبعينات هاجر كثيرون من المغاربة حينما كانت استراليا في حاجة ماسة الى اليد العاملة. وقد تكاثرت هجرة المغاربة اليها في التسعينات. ويقال ان حياة المهاجرين المغاربة وظروفهم فيها مستقرة، بالرغم من تغيّرات عدة في القوانين الدولية، وبخاصة في الدول الغربية، بعد أحداث 11 أيلول.

أما بشأن انضمام المغاربة الى الجمعيات الخاصة بهم، فاهتمامهم بها لا يذكر، لأنهم أسسوا جمعيات عدة في السابق لم يرافقها النجاح. والمعروف ان 84 % من الشباب المغاربة يتزوجون بنساء من أصل مغربي.

وقد بدأ مكتب الهجرة الاسترالي، عبر أكبر المدن المغربية، بإقامة لقاءات وندوات بغية استقطاب أصحاب الأدمغة المغربية في ميادين الهندسة والصيدلة والطب والميكانيك لتشجيع هجرتها الى استراليا.

ومن المتوقع أن يوفر برنامج الهجرة والشؤون الإنسانية في استراليا 203 آلاف تأشيرة دخول للبلاد خلال العام الحالي، بينها 133.500 تأشيرة للمهاجرين من أصحاب المهارات و 56.500 للمهاجرين لأسباب عائلية و 13.500 للاجئين والمهاجرين لأسباب إنسانية.

### 8- الجالية الفلسطينية

ان القضية الفلسطينية مأسوية منذ بدايتها. ومن غير الانساني أن يُقتلع شعب من أرضه قسراً وجماعياً، مع ارتكاب أشنع الجرائم بحقه. فهذا الشعب بعد إثنتين وستين عاماً على نفيه ولجونه يومها الى البلدان العربية القريبة والبعيدة، على أمل العودة، ما زال أبناؤه يدفعون دماءهم وحياتهم ثمناً لقضيتهم العادلة. أما اليوم، وربما لتخفيف معاناتهم، فتحت أمامهم

آفاق جديدة، تبعدهم أكثر فأكثر عن وطنهم الأصلي، وتوصلهم حتى إلى أميركا الشمالية وأستراليا.

يقدر عدد الفلسطينيين اليوم في أستراليا، بحسب بعض وسائل الإعلام، بحوالي 50 ألف شخص، نسبة العاملين منهم (بين 15 - 64 سنة)، تبلغ 69%. واليوم هناك أعداد مرتفعة من اللاجئين الفلسطينيين في سوريا والأردن يتقدمون بطلبات هجرة إلى أستراليا، و يتم منح ما بين 700 إلى 800 لاجئ فلسطيني سنوياً حق الهجرة إلى أستراليا<sup>10</sup>

---

<sup>10</sup> كمال ابراهيم محمد شحاده علاونه، "الرحيل والهجرة القريبة"، شبكة الإسرائ والمعراج.

## ثانياً: الهجرة الى قارة آسيا

تقسم الهجرة الى القارة الآسيوية الى قسمين:

1- ان هجرة المواطنين العرب الى القارة الآسيوية تعتبر، نوعاً ما، هجرة داخلية، وهي متصاعدة: كهجرة العمالة المصرية الى الخليج العربي ولبنان، وهي تعدّ بالآلاف، وهجرة الشباب من فلسطين المحتلة الى الوطن العربي، منذ العام 1948 وحتى اليوم، وهجرة 6 ملايين فلسطيني الى بلدان العالم المختلفة. وكذلك هجرة ملايين العراقيين بسبب الحروب وسوء الأحوال السياسية والأمنية والاقتصادية، ووجود الاحتلال الأميركي في العراق منذ العام 2003، وهجرة مئات آلاف اللبنانيين منذ العام 1975 وحتى اليوم، وهجرة المعارضة للأنظمة السياسية العربية القائمة.

2- الهجرة العربية الى آسيا (من دون البلاد العربية التي يقع أكثرها ضمن القارة الآسيوية).

تعتبر دول قارة آسيا جاذبة للعرب، وبخاصة الدول الإسلامية كأندونيسيا وماليزيا، وكذلك تعتبر الصين تتيماً اقتصادياً عالمياً، يجذب أصحاب رؤوس الأموال إليها، للتقدم الصناعي ورخص الأيدي العاملة وتوافر الكفاءات العلمية الرخيصة الأجر فيها. فالهجرة العربية المؤقتة الى الصين احتلت حيزاً مهماً في هذا العصر، إذ تتم فيها الاستثمارات الصناعية والخدمية العربية التي تدرّ أرباحاً طائلة.

ان الهجرة الى آسيا ضعيفة قياساً ببلدان الهجرة التي يقصدها العرب. فهناك شركات عدة، ومنها عالمية، تحتاج الى موظفين وإداريين من العرب وغيرهم. إضافة إلى ضآلتها، تعتبر الهجرة إلى القارة الآسيوية نوعاً من الانتقال المؤقت للاستثمار و ليس للاستقرار بمعنى الإغتراب.

## الخاتمة

بعد هذا العرض السريع لهجرة بعض الجاليات العربية وأوضاعها على مختلف الصعد، والأسباب العامة التي أدت الى هجرتها من جهة، ومن جهة أخرى للإغراءات الدولية للهجرة التي تحارب الفقر والبطالة وترضي طموحات الشباب وتحقق أحلامهم، وبخاصة هجرة الأدمغة والكفاءات واليد العاملة المتخصصة والعادية، التي تعول عليها الدول في نموّها وازدهارها وتطورها.

نقف اليوم كعرب متسائلين: هل يمكن الحدّ من هذه الهجرة، بعدما أصبحت ظاهرة عالمية ملفتة وواقعا لا مفرّ منه؟ وإذا كنا عاجزين عن استيعاب أدمغة شبابنا وكفاءاتهم وسواعدهم، بخاصة ان 54% من الطلاب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون الى بلادهم، هذا عدا الأدمغة التي تهاجر الى الخارج للعمل وهي تُعدّ بالآلاف؟ وتعد مصر ولبنان والمغرب والعراق وسوريا وتونس أكثر الدول العربية خسارة للكفاءات وتشكل نسبة 75% من العقول المهاجرة في العالم العربي. ومن حق هؤلاء جميعاً أن يستثمروا رؤوس أموالهم، التي هي أدمغتهم وشهاداتهم العليا أينما وجدوا، لأن ثروتهم هي في عقولهم وليست في جيوبهم. بخاصة أن أوطانهم الأصلية لا تؤمن لهم حقهم المادي والمعنوي على المستوى المطلوب، كما تؤمنه لهم بلدان الاغتراب.

هذا هو الواقع. ما العمل اذاً لنفيد من خبراتهم العلمية؟ نتكلم دائماً على تحويلاتهم المالية، وتعلّق عليها بلادهم، اقتصادياً، أمالاً كبيرة، ونفتخر بالذين لمعت أسماؤهم وتبوأوا أعلى المراكز القيادية في مختلف المجالات والاختصاصات وهم كثر... ولكن لم نتكلم كثيراً على خبراتهم العلمية وتتميرها في أوطانهم الأصلية. علينا كمواطنين في الدول العربية، وقبل فوات الأوان، أي قبل أن تنسى الأجيال اللاحقة لهؤلاء المغتربين اصولها كما حصل في بعض العائلات المهاجرة من الجيل الأول. وعلى سبيل المثال، فان بعض المتحدرين من أصل لبناني في البرازيل، اندمجوا كلياً في المجتمع والبيئة البرازيليين، واتخذ بعضهم أسماء برازيلية، مما يزيد في صعوبة الاهتداء الى أصلهم. من ذلك: عائلات كانت معروفة بحداد أصبحت فريرا، ورمضان أرمندا، وعياش أصبحت مونتيرو، وغنيمة أصبحت كارنيرو<sup>11</sup>.

واليوم، الخطر داهم أكثر، إذ نخشى أن ينقطع مغتربونا، وتحديداً الشباب والأدمغة منهم عن أوطانهم، بخاصة الذين تعلموا وعملوا وعاشوا في الخارج، و تحرّروا من القيود الإجتماعية في بلدانهم. هذه الاعتبارات تجعل العمل على بناء جسور للتواصل بيننا وبين مغتربينا من الأمور الصعبة، تتطلب جهداً كبيراً، وسياسة اغترابية حديثة، لاستعادة الثقة

<sup>11</sup> نبيل فارس حرفوش، الحضور اللبناني في العالم.

والتفاهم بين المغتربين والمقيمين من جهة، وبين المغتربين وحكوماتهم، وبين بعضهم بعضاً من جهة أخرى. لا ننكر أن المهمة معقدة، لكن لا شيء يستحيل مع وجود إرادة قوية وعزيمة ثابتة. والتضحيات التي تقوم بها جامعة الدول العربية من أبحاث ودراسات ومؤتمرات وندوات وأنشطة بين جميع فروعها تستهدف حل هذه المعضلة المتبادية في الزمن. فعسانا نوفق في هذه المهمة وهذا المسعى الجلل.

ولكن ما هي سبل المعالجة للاستفادة بدايةً ولو بالحد الأدنى من خبرات الأدمغة التي صُدّرت إلى الاغتراب طوعاً أو قسراً؟ هناك اقتراحات عدة يمكن تطبيقها كمدخل للتواصل، لأن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة. وهكذا على المدى الطويل نكون قد بنينا جسور تواصل بيننا وبين مغتربينا لا يقوى عليها الزمن. فلنكن نهضة عربية جديدة تكون جسراً متيناً للتواصل:

1- "تفعيل دور السفارات في الخارج. ويكون ذلك بالمتابعة الفعالة لأفراد جالياتها، وتوجيههم إلى المواطنة الاغترابية الصالحة، لأن أي مخالفة، قانونية كانت أم اجتماعية، تعرض سمعة وطنهم الأصلي للإساءة، وتعرضهم للمضايقات والاضطهاد. وتتولى سفارتهم الدفاع عنهم إذا اقتضى الأمر، فيشعر المغترب بأن وطنه الأصلي لم يتخل عنه. كما تعقد السفارة اجتماعات دورية مع أصحاب الكفاءات العلمية من مختلف الاختصاصات للنظر في إمكان استثمارها والاستفادة من خبراتهم العلمية في وطنهم الأول أو في بلد الاغتراب.

2- "توجيه استثمارات المغتربين إلى التصنيع والإنتاج، بدلاً من العقارات وبيع سندات الخزينة وسواها.

3- "توزيع نشرات دورية رسمية في بلدان الاغتراب وبلغاته، تنقل أخبار المغتربين وأخبار الوطن الأول المهمة، وتتحدث بوضوح وجديّة عن الأنشطة الثقافية والاقتصادية والسياحية في الوطن الأصلي، مع إعطاء أرقام دقيقة عن المردود الاقتصادي للثمن فيه.

4- "عرض أفلام وثائقية عن الوطن الأصلي، تبين صورته الحقيقية في مختلف الميادين، بخاصة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

5- "إنشاء بيت المغترب في كل بلد عربي، لكي يستقبل المغتربين أفراداً وجماعات ويؤمن لهم المعلومات والتسهيلات لنجاح إقامتهم في وطنهم الأصلي، على أن يضم هذا البيت مكتبة تجمع التراث الفكري بلغتهم ولغات الاغتراب، إضافة إلى قاعات للمؤتمرات والاجتماعات ومطعم ووسائل للتسلية والراحة وللتكنولوجيا الحديثة من كمبيوتر وغيره...

وفي الآونة الأخيرة قام العلماء العرب في الغرب بإنشاء شبكة للعلماء العرب في المهجر تسمى "شبكة العلماء والتكنولوجيين العرب في الخارج"، والتي تعرف اختصاراً باسم أستا Alsta. وهذه تهدف إلى الكشف عن مواقع الكفاءات في الدول الغربية والتعرف بها

ورصد مساهماتها في مسيرة التقدّم الحديث، لتصبح في متناول أصحاب القرار السياسي والأكاديمي والصناعي والاقتصادي في العالم العربي، والإفادة منهم في بلدانهم الأصلية.

## مراجع البحث

- 1) أبي فرح أنيس، السكان والبطالة والهجرة في لبنان، 1982-2001. منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات الإحصائية.
  - 2) الحاج فؤاد، الصحافة العربية في استراليا، 2008.
  - 3) حرفوش نبيل فارس، الحضور اللبناني في العالم، 3 أجزاء.
  - 4) الجامعة الثقافية الفرنسية - اللبنانية.
  - 5) جامعة القديس يوسف، المرصد الجامعي للواقع الاقتصادي - الاجتماعي، من سنة 1992 الى 2007.
  - 6) جريدة الصباح العراقية، "العراقيون في استراليا".
  - 7) جمعية المغترب اللبناني، ظاهرة الهجرة والاعتراب اللبناني في الخارج.
  - 8) الخوند مسعود، المعجم التاريخي للبلدان، ط. أولى، المؤسسة اللبنانية للطباعة والنشر، لبنان 1983.
  - 9) زرنه جي عبد اللطيف، هجرة الأدمغة العربية وأثرها على المجتمع العربي، الجمعية الكونية السورية.
  - 10) صاغية حازم، وداع العروبة، دار الساقى، ط. أولى 1999، بيروت.
  - 11) عون طنوس، موسوعة الهجرة اللبنانية الى استراليا، بداية الهجرة وتطورها، 2001.
  - 12) المنية، أشرف، نشأة الألب العربي المهجري في استراليا.
  - 13) لبكي بطرس و خليل أبو رجيلي، جردة حساب الحروب من أجل الآخرين على أرض لبنان 1975 - 1990 بيروت.
  - 14) وزارة الخارجية والتجارة الاسترالية، استراليا في سطور.
  - 15) وزارة القوى العاملة والهجرة في مصر.
  - 16) وزارة المغتربين، ندوة عودة الكفاءات اللبنانية المهاجرة، الجامعة الأميركية في بيروت، 1996.
- F. Docquier, *International Migration...*
  - "Plus de la moitié des jeunes émigrants n'envisagent pas de retourner au Lian ». *L'Orient-Le Jour*, 2 avril 2010.